مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 05/ العـدد 02: (2018)، ص 119- 131

الاشتراك اللفظي وأثره في اختلاف المفسرين.

الاستاذ :باي بن زيد
جامعة تلمسان – الجزائر.

الملخص:

يشكل موضوع هذا البحث محاولة لبيان أثر ظاهرة علمية لغوية هي من أشهر الظواهر التي تعتبر عاملا مهما من عوامل اختلاف المفسرين وتباين آرائهم في تجلية المقصود من كلام رب العالمين، ألا وهي ظاهرة الاشتراك اللفظي؛ ولتوضيح فكرة البحث تناولته من زاويتين مهمتين تقتضيهما طبيعة البحوث العلمية وهما الجانب النظري والجانب التطبيقي.

تناولت في الجانب النظري مفهوم الاشتراك اللفظي، واختلاف آراء العلماء في إثباته وإنكاره، وأهم أسباب وجوده، وجعلت الجانب التطبيقي مُجَلِّيًا لأثر هذه الظاهرة في اختلاف المفسرين وتباين آرائهم في مفهوم الآية الواحدة وما يترتب على ذلك من معان لغوية وأحكام فقهية متغايرة.

Résumé

L'objet de cette recherche est une tentative pour démontrer l'impact d'un phénomène linguistique scientifique des phénomènes les plus célèbres qui sont considérés comme un facteur important de différents facteurs de commentateurs et des opinions divergentes sur la signification des mots Coraniques.J'ai abordé le concept de participation linguistique, les différentes opinions des érudits sur le fait de le prouver et de le nier et les principales raisons de son existence.Et fait que l'aspect applicatif de l'impact de ce phénomène dans la différence des interprètes et la différence de points de vue dans le concept du verset unique et les significations linguistiques qui en découlent sont hétérogènes

كلمات مفتاحية: مشترك – لفظ – أثر – اختلاف – المفسرون.

mots-clés : Commun - mot - Impact - difference - interpretes

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل اللسان العربي ترجمان القرآن؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الدَّيان، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله، أكرم الخلق على الله، وأفضل من نطق بالضاد من ولد عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان.

أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى تعبدنا بتلاوة كتابه، ودرك دلالات ألفاظه، واستنباط أحكامه، والوقوف عند حدوده، واستظهار ألوان إعجازه، واستدرار ملحه ولطائفه؛ بيد أن هذا لا يتأتى إلا بمسلك سوي، ومنهج قويم، وطريق سليم، ألا وهو تحصيل علوم اللسان الذي نزل به، وفهم أسراره، وسبر أغواره.

ولما كان لسان الضاد أفصح اللغات وأوسعها بيانا وإعرابا، وأجمع للدلالات بأحسن إشارة وأوجز عبارة، وأكثرها مذهبا في تأدية المعاني التي تقوم بالنفوس، فإنه من كان بألفاظ العرب وأساليبها وعاداتها في الخطاب أعرف، كان لِدَرْك دلالات التنزيل المبارك أفقه، ولاستنباط أحكامه أضبط.

وإذ تقرر هذا عند أرباب الفهوم والحِجَى كان لزاما على قاصد بيان المعاني القرآنية معرفة الدلالات الواسعة للفظة القرآنية الواحدة، والوقوف على الفروق اللغوية الدقيقة بينها حتى لا تزل القدم، ويشط القول في كتاب الله تبارك وتعالى.

وعليه كان من الأهمِّية بمكان أن يتناول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية :

ما المقصود بالمشترك اللفظي في لسان العرب؟

وما موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة اللغوية؟ وما هي أهم أسباب نشأتها؟

وما أثر ذلك في اختلاف المفسرين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اقتضت المادة العلمية أن أوزعها على مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: الاشتراك اللفظي في لغة العرب (دراسة نظرية):

ويتناول التعريف اللغوي والاصطلاحي للاشتراك، وتباين آراء العلماء في قبول هذه الظاهرة، وأهم أسباب نشأتها.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لأثر الاشتراك اللغوي في اختلاف المفسرين :

ويبحث في أثر النماذج الآتية في اختلاف المفسرين: الإلّ – قسورة – المطهرون – عسعس – ينكح، وذيلت بخاتمة لأهم النتائج.

المبحث الأول: الاشتراك اللغوي في لغة العرب (دراسة نظرية).

المطلب الأول: تعريف الاشتراك لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: تعريف الاشتراك لغة.

ورد في تاج العروس أن: " الشِّرْكُ والشِّرْكَةُ، بكسرِهما وضمِّ الثاني بمعنًى وَاحد، وَهُوَ مُخالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ ... وَقد اشْتَرَكا وتَشارَكَا، وشارَكَ أَحدُهُما الآخرَ والاشْتِراكُ هُنَا بمَعْنَى التَّشارُكِ... واسمٌ مُشْتَرَكٌ: تَشْتَرِكُ فِيهِ مَعان كَثِيرَة، كالعَيْنِ ونَحْوِها فإنه يَجْمَعُ معانيَ كَثِيرَة، وأَنْشَدَ ابنُ الأَعرابي:

(وَلَا يَستَوي المَرءَانِ هَذَا ابنُ حُرَّةٍ ... وَهَذَا ابنُ أَخْرَى ظَهْرُها مُتَشَرِكُ)

فَسَّره فَقَالَ: مَعْناهُ مُشْتَرَكٌ؛ وشَرِكَهُ فِي الأَمْرِ، يَشْرَكُه: دَخَلَ مَعَه فِيهِ، وأَشْرَكَه فيهِ. وأَشْرَكَ فلَانا فِي البَيع: إِذا أَدْخَلَه مَعَ نَفْسِه فيهِ، وقولُه تَعالى: (**وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**): أَي اجْعَلْه شَرِيكًا لي "[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة أن: " **(ش-ر- ك)** الشِّين وَالرَّاء وَالْكَاف أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةٍ وَخِلَافِ انْفِرَادٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ وَاسْتِقَامَةٍ.

فَالْأَوَّلُ الشِّرْكَةُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَا يَنْفَرِدُ بِهِ أَحَدُهُمَا. وَيُقَالُ: شَارَكْتُ فُلَانًا فِي الشَّيْءِ، إِذَا صِرْتَ شَرِيكَهُ. وَأَشْرَكْتُ فُلَانًا، إِذَا جَعَلْتَهُ شَرِيكًا لَكَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قِصَّةِ مُوسَى: (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (طه: 32)، وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيِ اجْعَلْنَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِي ذَلِكَ، وَشَرِكْتُ الرَّجُلَ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكَهُ.

وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالشَّرَكُ: لَقَمُ الطَّرِيقِ، وَهُوَ شِرَاكُهُ أَيْضًا، وَشِرَاكُ النَّعْلِ مُشَبَّهٌ بِهَذَا، وَمِنْهُ شَرَكُ الصَّائِدِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهِ "[2].

مما سبق يظهر أن الدلالة اللغوية للاشتراك تدور حول الاقتسام والتجزئة، كالاشتراك في ثمن بضاعة أو الاشتراك في الانتفاع بطريق.

الفرع الثاني: تعريف الاشتراك اصطلاحا.

الاشتراك في اللغة من الظواهر المختلف في وجودها في لسان العرب بين العلماء؛ ومن تعريفات المثبتين ما يأتي:

1 **تعريف سيبويه:** " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[3].

---

[1]: تاج العروس من جواهر القاموس – محمد حسيين المرتضى الزبيدي –ت: عبد العزيز مطر – مادة(شرك)- ط.2 – 1414هـ – 1994م - ج: 27 – ص: 223 وما بعدها.

[2]: معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس – مادة (شرك) – ت: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – د.ط – د.ت - ج: 3 – ص: 365.

[3]: الكتاب - سيبويه – ت: عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – ط.3 – 1408هـ - 1988م – ج:1 - ص: 24.

2. تعريف السيوطي: " إنّ المشترك اللّفظيّ هو اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة "[4].

3. تعريف أبي البقاء الكفوي في كتابه "الكليات :" هو أن يكون اللفظ موضوعا بإزاء كل واحد من المعاني الداخلة تحته قصدا كاسم القرء والعين "[5].

والحاصل مما سبق من التعريفات أن الألفاظ المشتركة هي الألفاظ الواحدة التي تدل على معان متعددة، كدلالة العين على الجارحة والجاسوس والماء الجاري....

وقد تناول هذه الظاهرة اللغوية الباحثون في علوم القرآن الكريم تحت مسمى الوجوه والنظائر.

الفرع الثاني: التضاد والمشترك اللفظي والفرق بينهما.

بإنعام النظر نجد أن كل لفظة من الأضداد هي من المشترك اللفظي لأنه يشترك فيها أكثر من معنى، غير أنها تتمايز عليه بخاصية التقابل بين المعاني؛ أي بينهما خصوص وعموم، فكل تضاد لغوي هو اشتراك لفظي، وليس كل مشترك متضاد.

المطلب الثاني:مذاهب العلماء في الاشتراك اللفظي.

اختلف علماء اللغة في القول بالمشترك اللفظي بين منكر لوجوده وبين مثبت له إلى فريقين، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

الفرع الأول.المثبتون للاشتراك اللفظي وأدلتهم.

ذهب أكثر اللغويين إلى إثبات ورود المشترك اللفظي واستدلوا عليه بشواهد كثيرة ومن هؤلاء: الأصمعي والخليل بن أحمد وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وابن فارس ومسعدة والثعالبي والمبرد والسيوطي؛ وقد وقف بعض أفراد هذا الفريق بسرد أمثلته في مؤلفات على حده.[6]

من أدلة المثبتين:

أ- الرواية عن العرب الخلّص:

---

[4]: المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جلال الدين السيوطي – القاهرة – مكتبة دار التراث – ط.3 – ص:1 – ص:369..

[5]: الكليات - أبو البقاء الكفوي – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط.2 – 1419هـ - 1998م – ص: 156.

[6] فقه اللغة – علي عبد الواحد وافي – نهضة مصر للطباعة – ط.3 – 2004م – ص:145.

فقد جاء تعدد المعاني المختلفة للفظ الواحد ثابتا في كلام العرب؛ قال السيوطي:" والأكثرون على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ؛ ومن الناس من أوجب وقوعه – قال: لأن المعاني غير منتهية، والألفاظ منتهية، فإذا وزع لزم الاشتراك"[7].

ب- الجواز العقلي بوقوعه:

قال السيوطي:" والأكثرون على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ؛ ومن الناس من أوجب وقوعه – قال: لأن المعاني غير منتهية، والألفاظ منتهية، فإذا وزع لزم الاشتراك " فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع، لجواز أن يقع إما من واضعين، بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر؛ ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وهذا على أن اللغات غير توقيفية، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة"[8].

الفرع الثاني: النافون لوجود المشترك اللفظي وأدلتهم.

ذهبت فئة قليلة من علماء اللغة إلى رد القول بوجود المشترك اللفظي وإنكاره، ولعل أشهرهم في ذلك ابن دُرُستويه؛ إذ عمل على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب، كأن يجعل إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة، وفي المعاني الأخرى مجازا.[9]

ومن أدلة النافين لوجود الاشتراك اللفظي.

الاستحالة العقلية.قال أحمد مختار عمر:" ومنهم من قال باستحالة وقوعه عقلا بدعوى إخلاله بالتفهيم المقصود من الوضع لخفاء القرآئن " [10].

المطلب الثالث: أسباب وجود الاشتراك اللفظي.

يمكن تلخيص أهم أسباب وجود الاشتراك اللفظي في اللغة كالآتي:

أ: اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ.

وذلك أن يكون للفظ واحد معنيان مختلفان أحدهما لحي من العرب، والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء.

---

[7] المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جلال الدين السيوطي – ص:369..

[8] لمزهر في علوم اللغة وأنواعها – جلال الدين السيوطي – ص:369..

[9] ينظر: فقه اللغة – علي عبد الواحد – ص:146 .

[10] علم الدلالة – أحمد مختار عمر – مصر – عالم الكتب – ط.5 – 1998م – ص: 157.

يقول محمد بكر إسماعيل:" قد تضع قبيلة لفظًا من الألفاظ لمعنى من المعاني، وتضعه قبيلة أخرى لمعنى آخر، وأخرى تضعه لمعنى ثالث، فيتعدَّد الوضع، وينقل إلينا اللفظ مستعملًا في هذه المعاني دون أن ينصَّ علماء اللغة على تعدد الوضع أو الواضع "[11].

ب: التطور الصوتي.

قد ينال الأصوات الأصلية لِلَفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور فيصبح هذا اللفظ متحدًا مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله[12]؛ مثل: الفروة التي تعني جلد الرأس والغنى، وأصل الكلمة بالمعني الثاني وهو الثروة، وأبدلت الثاء فاء على طريقة العربية في مثل جدث وجدف.[13]

ج: الاقتراض من اللغات الأخرى.

أورد الدكتور رمضان عبد التواب مثالا على ذلك قائلا: " وفي العربية الفصحى: الحب بمعنى الوداد، وهو حب الشيء؛ وفيها كذلك الحب: الجرة التي يجعل فيها الماء؛ والمعنى الأول عربي أصيل، أما الثاني فهو فيها مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تماما للفظ العربي "[14].

د: الاستعمال اللفظي من الحقيقة إلى المجاز.

قد يوضع اللفظ لمعنى، ثم يستعمَل في غيره مجازًا، ثم يشتهر استعمال المجازي، حتى يُنْسَى أنه معنى مجازي للفظ، فيُنْقَل إلينا على أنه موضوع للمعنيين الحقيقي والمجازي.[15]

هـ: الاستعمال اللفظي من الوضع اللغوي إلى الوضع الاصطلاحي.

أن يكون اللفظ موضوعًا لمعنى في اللغة، ثم يوضع في الاصطلاح لمعنى آخر، كلفظ " الصلاة " وُضِعَ لغةً للدعاء، ثم وُضِعَ في اصطلاح الشرع للعبادة المعروفة .[16]

---

[11] دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل - دار المنار - ط.2 - 1419هـ-1999 م – ص:238.

[12] ينظر: فقه اللغة – علي عبد الواحد – ص:148 .

[13] فصول في فقه العربية – رمضان عبد التواب – القاهرة – مكتبة الخانجي – ط.6 – 1420هـ - 1999م - ص:332 .

[14] فصول في فقه العربية – رمضان عبد التواب – ص:331 .

[15] دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل - ص:238.

[16] دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل - ص:239.

المبحث الثاني: أثر الاشتراك اللفظي في اختلاف المفسرين.

يعد التفسير اللغوي من أهم المصادر التفسيرية، وتظهر آثاره واضحة جلية في دلالات ومعاني الألفاظ القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى في وضع اللغة؛ ومن الأمثلة القرآنية المجلية لأثر الاشتراك اللفظي في اختلاف المفسرين ما يأتي:

المطلب الأول: الاشتراك اللفظي في الأسماء.

الفرع الأول: لفظ (الإلّ)في قوله تعالى: (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً).(التوبة: 10).

أ: أقوال المفسرين في تأويل الآية.

ذكر العلماء في بيان مفهوم **(الإل)** أقوالا تحمل معان عدة هي كالآتي:

الإلّ: هو الله، والإلّ: بمعنى القرابة، والإل: هو الحلف، والإل : هو العهد كذلك.

قال الطبري:" الإل بلسان العرب **الله** كما قال: (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً).(التوبة: 10)؛ فقال جماعة من أهل العلم: الإل: هو الله. ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين سألهم عما كان مسيلمة يقول، فأخبروه، فقال لهم: ويحكم أين ذهب بكم والله، إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر: يعني من إل: من الله... كأنه يقول: لا يرقبون الله عز وجل... وعن ابن عباس:

الإل: **القرابة**، والذمة: العهد... وعن قتادة: الإل: **الحلف**، والذمة: العهد... وقال ابن زيد: لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة "[17].

فلفظ الإل هنا في هذه الآية من الألفاظ المشتركة التي تحتمل هذه المعاني كلها، بل تزيد هذه المعاني بمجموعها من بيان حال قلوب المشركين الغليظة، ووصف نفوسهم المريضة أنهم لو ظهروا على المؤمنين لا يرقبون فيهم الله ولا العهد والميثاق ولا القرابة.

قال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا، والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى الله.

---

[17] جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – ت: عبد الله بن محسن التركي – دار هجر – ط.1 – 1422هـ - 2001م - ج:11 – ص: 354 وما بعدها.

فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهدا، ولا ميثاقا "[18].

الفرع الثاني :لفظ " قسورة " في قوله تعالى:(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ).(البقرة: 50-51).

قال الإمام البغوي :" قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: "الْقَسْوَرَةُ": **الرُّمَاةُ**، لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَهِيَ رِوَايَةُ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُمُ **الْقُنَّاصُ** وَهِيَ رِوَايَةُ عَطِيَّةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: هُمْ رِجَالٌ أَقْوِيَاءُ، وَكُلُّ **ضَخْمٍ شَدِيدٍ عِنْدَ الْعَرَبِ**: قَسْوَرٌ وَقَسْوَرَةٌ، وَعَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ قَالَ: هِيَ **لَغَطُ الْقَوْمِ وَأَصْوَاتُهُمْ**. وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هِيَ **حِبَالُ الصَّيَّادِينَ**، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هِيَ **الْأَسَدُ**، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ وَالْكَلْبِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحُمُرَ الْوَحْشِيَّةَ إِذَا عَايَنَتِ الْأَسَدَ هَرَبَتْ، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا سَمِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَرَبُوا مِنْهُ، قَالَ عِكْرِمَةُ: هِيَ **ظُلْمَةُ اللَّيْلِ**، وَيُقَالُ لِسَوَادِ أَوَّلِ اللَّيْلِ قَسْوَرَةٌ. "[19].

وخلاصة ما ذكره الإمام البغوي في دلالة القسورة ما يأتي من المعاني:

- القسورة بمعنى الرماة أو القُنّاص.
- و القسورة بمعنى الضخم والشديد.
- و القسورة بمعنى الأسد.
- و القسورة بمعنى لغط القوم وأصواتهم.
- و القسورة بمعنى حبال الصبادين.
- و القسورة بمعنى ظلمة اليل.

وبالتأمل في هذه المعاني يمكن القول أن لفظ القسورة من الألفاظ المشتركة التي أفادت توسيع المعاني والدلالات للآية الواحدة، بل وأضفت إعجازا قرآنيا بليغا في وصف حال الكفار عند سماعهم لكلام القهار سبحانه وتعالى.

الفرع الثالث: لفظ (المطهرون) في قوله تعالى: (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ).(الواقعة: 79).

أ: أقوال المفسرين في تأويل الآية.

---

[18] جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري - ج:11 – ص: 358.

[19] تفسير البحر المحيط - ج:8 – ص:274..

قال ابن العربي المالكي في قوله تعالى: (إِلا الْمُطَهَّرُونَ) .(الواقعة: 79)." فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أحدهما أنهم الملائكة طهروا من الشرك والذنوب.

الثَّانِي: أنه أراد المطهرين من الحدث، وهم المكلفون من الآدميين." [20].

وحاصل القول أن لفظ " **المطهرون**" من الألفاظ المشتركة التي أفادت توسيع المعاني لهذه الآية المباركة، مما ترتب على ذلك خلافا فقهيا في حكم مس المصحف للمحدث؛ فمن حمل اللفظ على الآدميين رأى بالنهي عن مس المصحف للمحدث، ومن حمله على الملائكة رأى بمسه للمحدث من غير جنابة.[21]

فانظر إلى أثر الإشتراك اللفظي في اختلاف الحكم الفقهي.

المطلب الثاني: الاشتراك اللفظي في الأفعال.

الفرع الأول: لفظ عسْعَسَ في قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ). **(التكوير: 17).** قال الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه:" يقال عَسْعَسَ الليل إذَا **أَقْبَلَ**، وعَسْعَسَ إذا **أَدْبَر**، والمَعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره."[22].

وورد في كتاب اللباب في علوم الكتاب:" في قوله تعالى: (والليل إِذَا عَسْعَسَ) . يقال: عَسْعَسَ وسَعْسَع، أي: **أقبل**؛ وقيل: دَنَا من أوله وأظلم، وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض؛ وقيل: **أدْبَر** من لغة قريش خاصَّة.

وقيل: أقبل ظلامُه، ورجح مقابلته بقوله تعالى (والصبح إِذَا تَنَفَّسَ)، وهذا قريبٌ من إدباره؛ وقيل: هو لهما على طريق الاشتراك.

قال الخليل وغيره: عسعس الليل: إذا أقبل، أو أدبر.

وقال المبرد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحدٍ، وهو ابتداء الظلام في وله، وإدباره في آخره؛ وقال الماورديُّ: وأصل العسّ: الامتلاء "[23].

---

[20] أحكام القرآن – ابن العربي – دار الكتب العلمية – ط.3 – 1424هـ - 2003م – ج:4 – ص:174.

[21] ينظر: أحكام القرآن – ابن العربي –ج:4 – ص:174 وما بعدها.

[22] معاني القرآن وإعرابه – إبراهيم بن السري الزجاج – ت: عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – ط.1 – 1408هـ - 1988م - ج:5 – ص:292.

[23] اللباب في علوم الكتاب - عمر بن علي بن عادل - ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون- دار الكتب العلمية – ط.1 – 1419هـ - 1988م – ج:20 – ص: 183.

مما سبق فلفظ عسعس من الألفاظ المتضادة في اللغة العربية التي تحتمل المعنى وما يقابله

والتضاد ضرب من المشترك اللفظي؛ وقد أضفى هذا التضاد المعنوي فوائد جمة كبيان قدرة العظيم سبحانه وكذا وإظهار إعجاز القرآن الكريم.

قال الطاهر بن عاشور:" وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حَالَين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز، وعُطف عليه القسم بالصُبح حين تنفسه، أي انشقاق ضوئه لمناسبة ذكر الليل، ولأن تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم"[24].

الفرع الثاني: لفظ" ينكح " في قوله تعالى :(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ). (النور: 3).

إن لفظ "ينكح " من المشترك اللفظي الذي اختلف المفسرون في بيان معناه، مما انبنى عليه اختلاف في الحكم الفقهي للآية، فلفظ: ينكح يطلق ويراد به العقد، ويطلق ويراد به الوطء، ويمكن بيان ذلك كالآتي:

أولا: لفظ: ينكح يراد به العقد.

قال الطبري:" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فِي قَوْلِهِ: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) **(النور: 3)**؛ قَالَ: " كُنَّ نِسَاءً مَعْلُومَاتٍ قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ مِنْهُنَّ لِتُنْفِقَ عَلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ "[25].

واستنادا لهذه الرواية فالنكاح المنهي عنه متعلق **بالعقد أصالة.**

ثانيا: لفظ: ينكح يراد به الوطء أو الجماع. وأورد الطبري رواية أخرى عن حبر الأمة وبعض التابعين قائلا:" عن سعيد بن جبير، وعكرمة، في قوله: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) **(النور: 3)**؛ قالا: «هو الوطء» "[26].

واستنادا لهذه الرواية الثانية فالنكاح المنهي عنه متعلق بالوطء أو الجماع.

---

[24] التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – د.ط – د.ت - ج:30 – ص:154.

[25] جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري - ج:17 – ص: 150.

[26] جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري - ج:17 – ص: 157.

وهكذا يتبين بوضوح في هذه الآية الأثر البالغ للمشترك اللفظي في اختلاف المفسرين وما ينبني عليه من آثار فقهية.

خاتمة:

يمكن إجمال أهم نتائج البحث كالآتي:

- ✓ الاشتراك اللفظي بصفة عامة ظاهرة حقيقية في لغة الضاد، وكفة المثبتين لها راجحة لقوة أدلتهم وحججهم النقلية والعقلية.
- ✓ لعل الدافع لإنكار الاشتراك اللفظي عند من تبنى هذا الرأي هو التوسع المفرط عند القائلين به.
- ✓ من أسباب وجود الاشتراك اللفظي تعدد لهجات أهل الضاد والتطور المستمر لدلالات ألفاظها.
- ✓ من أسباب وجود الاشتراك اللفظي الاقتراض من اللغات الأخرى.
- ✓ من أسباب وجود الاشتراك اللفظي الاستعمال اللغوي من الحقيقة إلى المجاز، وهذا ما ظهر جليا في اختلاف المفسرين في قوله تعالى:(**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**).**(النور: 3).**
- ✓ مما أسهم كثيرا في وجود هذه الظاهرة أساليب العرب في خطابها بما يتوافق وطبيعة النفس وخصوصية البيئة.
- ✓ من آثار الاشتراك اللفظي إثراء المعاني التفسيرية للفظة القرآنية وهذا ما ظهر جليا في أقوال المفسرين في معنى الإل في قوله تعالى: **(لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً).(التوبة: 10).**
- ✓ من آثار الاشتراك اللفظي اختلاف المفسرين في بيان الحكم الفقهي ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: **(لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ).(الواقعة: 79).**

ويبقى البحث أرضا خصبة للدراسات اللغوية والقرآنية ومما يوصى به:

- ✓ زيادة الاهتمام ببحث ما قيل أنه من المشترك اللفظي في القرآن الكريم وتمحيصه.
- ✓ الاهتمام بتدوين معجم للألفاظ المشتركة في اللغة العربية مما سبيله الاتفاق على الأقل.

فهرس المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

الكتب المطبوعة:

- ✓ أحكام القرآن – ابن العربي – دار الكتب العلمية – ط.3 – 1424هـ - 2003م.
- ✓ تاج العروس من جواهر القاموس – محمد حسيين المرتضى الزبيدي –ت: عبد العزيز مطر – ط.2 – 1414هـ – 1994م.
- ✓ التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – د.ط – د.ت.
- ✓ تصحيح الفصيح وشرحه – ابن درستويه – ت: محمد البدوي مختون – مصر – د.ط – 1425هـ - 2004م.
- ✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – ت: عبد الله بن محسن التركي – دار هجر – ط.1 – 1422هـ - 2001م.
- ✓ دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل - دار المنار - ط.2 - 1419هـ-1999 م.
- ✓ الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها – ابن فارس – ت: عمر فاروق الطباع – بيروت – مكتبة المعارف – 1414هـ - 1993م.
- ✓ علم الدلالة - أحمد مختار عمر – مصر- عالم الكتب – ط.5 – 1998م.
- ✓ فصول في فقه العربية – رمضان عبد التواب – القاهرة – مكتبة الخانجي – ط.6 – 1420هـ - 1999م.
- ✓ فقه اللغة - على عبد الواحد الوافي – القاهرة – دار النهضة – ط.2 – 1992م.
- ✓ الكتاب - سيبويه – ت: عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – ط.3 – 1408هـ - 1988م .
- ✓ الكليات - أبو البقاء الكفوي – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط.2 – 1419هـ - 1998م.
- ✓ اللباب في علوم الكتاب - عمر بن علي بن عادل - ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون- دار الكتب العلمية – ط.1 – 1419هـ - 1988م.
- ✓ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية – مطبوعات وزارة الأوقاف بقطر – ط.2 – 1428هـ -2007م.

- ✓ المزهر في علوم اللغة وأنواعها – جلال الدين السيوطي – القاهرة – مكتبة دار التراث – ط.3.
- ✓ معاني القرآن وإعرابه – ابراهيم بن السري الزجاج – ت: عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – ط.1 – 1408هـ - 1988م.
- ✓ معجم مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس – مادة (ض د) – ت: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – د.ط – د.ت.